﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

[الأعراف: 106]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا قدَّمَ موسى ﷺ دَعواه، وألقى دليلَهُ، وعرضَ الحُكمَ طولِبَ بالحُجّةِ، والدّليلِ، فاستدعى فِرعونُ منه خَرقَ العادةِ الدّالَّ على الصّدقِ[1]. فمِنَ المعلوم أنَّ مُجرَّدَ الدّعوى لا حُجّةَ فيهِ، ولكن إذا ظهرَ برهانٌ لم يبقَ غيرُ الانقيادِ لما هو الحقُّ[2].

المناسبةُ بين مَجيءِ موسَى بالبيّنةِ والحقِّ، وعِنادِ فرعونَ بطلبِه آيةً حسّيّةً مُعايَنةً

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: الصّادُ والدّالُ والقافُ أصلٌ يدُلُّ على قوّةٍ في الشّيءِ قولًا وغيرَهُ. ومنه سُمّي الصّدقُ: خلاف الكَذِبِ؛ لقوّتِهِ في نفسِهِ؛ ولأنّ الكَذِبَ لا قوّةَ لهُ، هو باطلٌ. وأصلُ هذا مِن قولِهم شيءٌ صِدْقٌ؛ أي صُلْبٌ. ورُمْحٌ صِدْقٌ[3]. "والصَّدقُ: الكاملُ مِن كلِّ شيءٍ"[4]. والصِّدقُ: مُطابقةُ القولِ الضّميرَ، والمُخبَرَ عنهُ معًا، ومتى انخَرَمَ شرطٌ مِن ذلكَ لم يكنْ صِدقًا تامًّا، بل إمّا أنْ لا يوصَفَ بالصّدقِ؛ وإمّا أنْ يوصَفَ تارَةً بالصِّدقِ، وتارةً بالكَذِبِ على نَظَرَينِ مُختَلِفين[5]. وكلُّ تصاريف الفعلِ (صَدَق) مِنَ الصِّدْقِ ضدّ الكَذِبِ[6]. ومنه لفظُ الصّادقينَ في الآيةِ الكريمةِ.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

لَمّا عَرَض موسى ﷺ رسالتَهُ على فِرعونَ، وذكرَ الدّليلَ على صدقِهِ؛

طلَبُ فِرعونَ من موسَى ﷺ، تَقديمَ البُرهانِ، تأكيدًا على الإيقانِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/357.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/555.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(4) الخليل، العين: (صدق).
(5) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صدق).

وهو مجيئُهُ بالبيّنةِ والخارقِ المُعجِزِ، استدعى فِرعونُ منه خرقَ العادةِ الدّالَّ على الصّدقِ، وهذا الاستدعاءُ يَحْتَمِلُ أن يكونَ على سبيلِ الاختبارِ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ على سبيلِ التّعجيزِ لِما تقرَّرَ في ذهنِ فِرعونَ أنّ موسى لا يَقدِرُ على الإتيانِ ببيّنةٍ، والمعنى: إن كُنتَ جئتَ بآيةٍ مِن ربِّكَ فأحضِرها عندي؛ لِتَصِحَّ دَعواكَ ويَثْبُتَ صِدقُكَ[1].

وتَرشِدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ إلقاءَ الحُججِ من دونِ دليلٍ بَيِّنٍ؛ مآلُهُ إلى التّكذيبِ. فالبيّنةُ دليلُ الصّدقِ، والحُجَّةُ دليلُ الحقِّ، وهما سبيلُ الهدايةِ، وطريقُ الدّرايةِ، وأنَّ الظّالمَ الجاحِدَ لمّا يزلْ يُشكِّكُ بالحقِّ، وإن كانَ مصدرُهُ سماويًّا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ التّعْبيرِ بـ(إنْ)، دونَ (إذا):

الجمهورُ بعدمِ اعْتقادِ فرعونَ بصِدْقِ موسَى عليه السلام، أبلغُ في النّفْيِ وأَعمُّ

معنى ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ مِنْ عند مَنْ أرسلَكَ فأتني بها، وأحضرها عندي؛ لتصحَّ دَعواكَ ويَثْبُتَ صِدقُكَ[2]. وأتى بـ ﴿إِن﴾ المُقتضيةِ للشّكِّ في مَضمونِ الجملةِ الشّرطيّةِ أو الجزم بنفيها، أو صيرورة ما دخلَ عليه في خبرِ المحالِ، بخلافِ (إذا)؛ للإيذانِ بأنّهُ ليسَ مُعتقدًا بصدقِ موسى عليه السلام، وأنَّ وقوعَهُ عندَهُ غيرُ مُحقَّقٍ، وذلك دليلُ خبثِهِ ومَكرِهِ[3]، وليكونَ النّفيُّ بـ(إنْ) أبلغَ وأعمَّ.

دَلالةُ تنوُّعِ التّعْبيرِ بالمجيءِ مرّةً، وبالإيتاءِ أُخرَى:

في تناوُبِ الاستعمالِ، تفنُّنٌ وقَصْدٌ، إلى معنًى دقيقٍ مُرادٍ في السِّياقِ

المجيءُ أعمُّ مِنَ الإتيانِ، ويُقالُ اعتبارًا بالحصولِ، أمّا الإتيانُ فيُقالُ باعتبارِ القصدِ[4]، ولذلك عبّرَ بالمجيءِ ليناسبَ لفظَ ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ في الآيةِ السّابقةِ، فهو مجيءُ بدءٍ مُتحقِّقُ الحصولِ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/357.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/138.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/240، وطنطاويّ، الوسيط: 5/345.
(4) الرّاغب، المفردات: (جاء).

وإن كانَ عندَ موسى ﷺ فقط، وعبَّرَ بالإتيانِ باعتبارِ القصدِ، فهو في حالةِ طلبٍ وشكٍّ، ولا يناسبُهُ فعلٌ مُتحقِّقُ الحصولِ، وقد يكونُ فيه إظهارُ فِرعونَ في مَظهَرِ المُتشكِّكِ المُرتابِ في سريرتِهِ مِن ادّعاءِ موسى ﷺ بينَ الصّدقِ وعدمِهِ، ويناسبُ هذا المعنى قَصْدِيَّةَ اختيارِ (إن) المُقتضيةِ للشّكِّ، كما تقدَّم.

سِرُّ تَنْكيرِ لفْظِ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾، في السِّياقِ:

في التَّنكيرِ عُمومٌ، نوَّعَ معناها، ووسَّعَ دَلالةَ سياقِ وُرودِها

تنكيرُ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ للتّعليلِ أو للعمومِ[1]، ويُرادُ بها المُعجزةُ، فإنّ أكثرَ مَواردِ الآيةِ في القرآنِ مُرادٌ فيهِ المُعجزةُ، وأكثرَ مَواردِ البيّنةِ مُرادٌ فيه الحُجَّةُ، ويَصدقُ على قولِ موسى ﷺ: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فهي: الحُجَّةُ على إثباتِ الإلهيّةِ، وعلى أحقّيّةِ ما جاءَ به مِن إرشادٍ لقومِهِ، ففِرعونُ غيرُ مُقتنعٍ ببرهانِ العقلِ، أو قاصرٌ عن النّظرِ فيه؛ ولذلك انتقلَ إلى طلبِ خارقٍ للعادةِ، فالمعنى: إن كُنتَ جئتَنا مُتَمَكِّنًا مِن إظهارِ المُعجزاتِ؛ لأنّ فِرعونَ قالَ ذلكَ قبلَ أن يُظهِرَ موسى ﷺ مُعجزتَهُ[2].

دَلالةُ الباءِ في قولِهِ: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾:

اقْترانُ المجيءِ بإظْهارِ المُعجِزاتِ، وبالتّمكينِ منه بالبيِّناتِ الواضحاتِ

الباءُ في قولِهِ: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ للمَعيّةِ التّقديريَّةِ؛ أي: مُتمكِّنًا مِن آيةٍ، أو مِن إظهارِ مُعجزةٍ، أو الباءُ للمُلابسةِ، والمُلابسةُ مَعناها واسِعٌ؛ أي: لك تَمكينٌ مِن إظهارِ آيةٍ[3].

التَّعْبيرُ عنِ الإتيانِ بالمَجازِ المُرسَلِ:

الفاءُ في قولِهِ: ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ جوابيّةٌ؛ لتوكيدِ التّرتيبِ، والتّعقيبِ، والسّببيّةِ[4]. واستعمالُ الإتيانِ في الإظهارِ مَجازٌ مُرسَلٌ، فالباءُ في قولِهِ: ﴿بِهَآ﴾ لتعديةِ فعلِ الإتيانِ، وبذلك يَتَّضِحُ ارتباطُ الجزاءِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/240.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/40.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/40.
(4) قباوة، المفصّل في تفسير القرآن، ص: 585.

بالشّرطِ؛ لأنّ الإتيانَ بالآيةِ المذكورةِ في الجزاءِ هو غيرُ المجيءِ بالآيةِ المذكورةِ في الشّرطِ؛ أي: إنْ كنتَ جِئتَ مُتمَكِّنًا مِن إظهارِ الآيةِ فأظهِرْ هذه الآيةَ[1]. ولذلك نكّرَ لفظَ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾، وفيه دليلُ تحدّي المُكابرِ الّذي لا يُقنعُهُ أيُّ دليلٍ مهما كانَ.

الإتيانُ تمكُّنٌ في إظهارِ الآياتِ، وتَحدٍّ للمُكابِرِ الّذي لا يُقنعُهُ دليلٌ

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بالأخصِّ، في سِياقِ هذا النّصِّ:

قولُهُ تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أخصُّ مِن قولِهِ: "إن كنتَ صادقًا"؛ لكونِهِ إمّا مُعلَّقًا بقولِهِ: ﴿فَأْتِ﴾، فيكون فيه ما يدُلُّ على أنَّ الصّدقَ يكونُ في الأقوالِ والأفعالِ، أو يكونُ قولُهُ: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ أي: في دعوى الرّسالةِ في مجيئِكَ بالآيةِ. والظّاهرُ أنَّ موسى عليه الصّلاة السّلام أتى بالمطلوبِ وزيادة؛ لأنّه إنّما طُلِبَ إليه آيةٌ واحدةٌ. وفيه أنَّ الشّيءَ يُستدَلُّ عليه بدليلين[2]. و﴿مِنَ﴾ للتّبعيضِ، وفيه دلالةُ عدمِ التّسليمِ لموسى عليه السلام بالصّدقِ المُطلَقِ، وإن جاءَ بالبيّنةِ الحقّةِ. وهذا شكٌّ آخر في صدقِهِ، بعدَ الشّكِّ في مجيئِهِ بالآيةِ[3]؛ إذ فيه إيماءٌ إلى أنّ في كلامِ فِرعونَ ما يقتضي أنّ فرضَ صدقِ موسى فرضٌ ضعيفٌ كما هو الغالبُ في شرطِ (إنْ)، مع إيهامِ أنّه جاءَ بشيءٍ مُبينٍ يُعتبَرُ صادقًا فيما دعا إليه، فبقي تحقيقُ أنّ ما سيجيءُ به موسى مُبينٌ، أو غيرُ مُبينٍ. وهذا قد استبقاه كلامُ فِرعونَ إلى ما بعدَ الوقوعِ، والنّزولِ ليتأتّى إنكاره إن احتاجَ إليه[4].

التَّعْبيرُ بالأَخصِّ تحقيقٌ للصِّدقِ قَولًا وفِعلًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/40.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/240.
(3) رضا، تفسير المنار: 9/40.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/123.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»